

صيد الخاطر

101 - - فصل : اليد العليا خير من اليد السفلى .

إجتهاد العاقل فيما يصلحه لازم له بمقتضى العقل و الشرع .

فمن ذلك حفظ ماله و طلب تنميته و الرغبة في زيادته لأن سبب بقاء الإنسان ماله فقد نهى عن التبذير فيه فقليل له : { و لا تؤتوا السفهاء أموالكم } فأعلم أنه سبب لبقائه { التي جعل الله لكم قياما } أي أقواما لمعاشكم .

و قال D : { و لا تبسطها كل البسط } .

و قال تعالى : { و لا تبذر تبذيرا } و قال تعالى : { لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلك قواما } .

و من فضيلة المال أن الله تعالى قال : { من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا } و قال تعالى : { و أنفقوا في سبيل الله } .

و قال تعالى : { ينفقون أموالهم } .

و قال تعالى : { لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح } .

و جعل المال نعمة و زكاته تطهيرا فقال تعالى : { خذ من أموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها } .

و قال صلى الله عليه و سلم [نعم المال الصالح للرجل الصالح] .

و قال : [ما نفعني مال كمال أبي بكر] .

و كان أبو بكر B يخرج إلى التجارة و يترك رسول الله صلى الله عليه و سلم فلا ينهاه عن ذلك .

و قال عمر بن الخطاب B : [لأن أموت بين شعبي جبل أطلب كفاف وجهي أحب إلي من أن أموت غاريا في سبيل الله] .

و كان جماعة من الصحابة B هم يتاجرون و من سادات التابعين سعيد بن المسيب مات و خلف مالا و كان يحتكر الزيت .

و ما زال السلف على هذا .

ثم قد تعرض نواب كالمريض يحتاج فيها إلى شيء من المال فلا يجد الإنسان بدا من الإحتيال في طلبه فيبذل عرضه أو دينه .

ثم للنفس قوة بدنية عند وجود المال و هو معدود عند الأطباء من الأدوية .
حكمة وضعها الواضع .

ثم نبغ أقوام طلبوا طريق الراحة فادعوا أنهم متوكله و قالوا : نحن لا نمسك شيئا و لا نتزود لسفر و رزق الأبدان يأتي .

و هذا على مضادة الشرع فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم نهى عن إضاعة المال .
و موسى عليه السلام لما سافر في طلب الخضر تزود .

و نبينا صلى الله عليه و سلم لما هاجر تزود .

و أبلغ من هذا قوله تعالى : { و تزودوا فإن خير الزاد التقوى } .

ثم يدعي هؤلاء المتصوفة بغض الدنيا فلا يفهمون ما الذي ينبغي أن يبغض .

و يرون زيادة الطلب للمال حرصا و شرها .

و في الجملة إنما اخترعوا بأرائهم طريقا فيها شيء من الرهبانية إذا صدقوا و شيء من البهجة إذا نصبوا شبك الصيد بالتزهد فسموا ما يصل إليهم من الأرزاق فتوحا .

قال ابن قتيبة في غريب الحديث عند شرح و قوله صلى الله عليه و سلم : [و اليد العليا] قال : هي المعطية .

قال : فالمعجب عندي من قوم يقولون هي الأخذة .

و لا أرى هؤلاء القوم إستطابوا السؤال فهم يحتجون للدناءة فأما الشرائع فإنها بريئة من حالهم .

و في الحديث : [ضاق البلد بمواشي إبراهيم و لوط عليهما السلام فافترقا] .

و كان شعيب عليه السلام كثير المال ثم قد ند طعمه في زيادة الأجر من موسى عليه السلام فقال : { فإن أتممت عشرا فمن عندك } .

و كان ابن عقيل C يقول : [من قال إني لا أحب الدنيا فهو كذاب] .

فإن يعقوب عليه السلام لما طلب منه ابنه يامين قال : { هل آمنكم عليه } فقالوا : { و نزداد كيل بعير } فقال : خذوه .

و قال بعض السلف : [من ادعى بغض الدنيا فهو عندي كذاب إلى أن يثبت صدقه فإذا ثبت صدقه فهو مجنون] .

و قد نفر جماعة من المتصوفة خلقا من الخلق عن الكسب و أوحشوا بينهم و بينه و هو دأب الأنبياء و الصالحين .

و إنما طلبوا طريق الراحة و جلسوا على الفتوح فإذا شبعوا رقصوا فإذا إنهضم الطعام أكلوا فإذا لاحت لهم حيلة على غني أوجبوا عليه دعوة إما بسبب شكر أو بسبب إستغفار .

و أطم الطامات إدعائهم أن هذا قربة .

و قد إنعقد إجتماع العلماء أن من إدعى الرقص قربه إلى الله تعالى كفر .

فلو أنهم قالوا : مباح كان أقرب حالا و هذا لأن القرب لا تعرف إلا بالشرع و ليس في الشرع

أمر بالرقص و لا ندب إليه .

و لقد بلغني عن جماعة منهم أنهم كانوا يوقدون الشمع في وجوه المردان و ينظرون إليهم فإذا سئلوا عن ذلك سخروا بالسائل فقالوا : نعتبر بخلق الله !! [أفتراهم أقوى من النبي صلى الله عليه و سلم حين أجلس الشاب الذي وفد عليه من وراء ظهره و قال هل كانت فتنة داود إلا من النظر] .

هيهات ! لقد تملك الشيطان تلك الأزيمة فقادها إلى ما أراد .

و العجب ممن يذم الدنيا و هو يأكل فيشبع و لا ينظر من أين المطعم .

و ما زال صالحو السلف يفتشون عن المطعم حتى كان إبراهيم بن أدهم يسهر هو و أصحابه و يقولون مع من نعمل غذا ؟ و كان سري السقطي يعرف بطيب الغذاء و له في الورع مقامات فجاؤ قوم يتسمون بالصوفية يدعون إيباع أولئك السادة و يأكلون من مال فلان و هم يعرفون أصول تلك الأموال و يقولون : رزقنا .

فواعجبا إذا كان الآكل لا يبالي به من أين و لا لديه إمتناع من شهوة و لا تقلل و لا يخلو الرباط من المطبخ و لا ينقطع ليلة و أصله من مال قد عرف من أين هو و الحمام دائر و المعنى يدق بدق فيه جلال و رفيقه بالشبابة و سعدي و ليلي في الإنشاد و المردان في السمع ثم يذم الدنيا بعد هذا .

فقولوا لنا : من يتلهى بالناس إلا هؤلاء ؟ و لكن من مرت عليه رزجتهم فإنه أخس منهم